وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الموشحات الأندلسية - عصر بني الأحمر انموذجاً دراسة وصفية

رسالة تقدم بها

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ديالى

وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

الطالب:

صلاح مهدي ذياب الدليمي

إشراف

الاستاذ المساعد الدكتور

لؤي صيهود فواز

١٤٤٢ هـ ٢٠٢٠ م

الفـــصـــل الأول

الموشح ومعارضاته في عصر بنـي الأحمر

- **المبحث الأول : أصل الموشح ونشأته وتطوره**

- **المبحث الثاني : المعارضات في موشحات عصر بنـي الأحمر**

الفصل الأول

مدخل

انَّ الموشَّحَ : هو نوع من النَّظم الجديد تمثَّل في الخروج عن نظام الشِّعر القصيد من خلال استعماله للبحور والاوزان المهملة ، وتنوع القافية في القصيدة الواحدة ؛ لملائمة روح العصرِ الَّتي شاع فيها الغناء والموسيقى ، فكان لا بُدَّ من فن يلائم هذا التطور ، وكذلك هو تمرد على النمطية التي كانت موجودة ، واستمدَّ ذلك من الطبيعة التي لا تحدها أي حدود.

فالموشح فنٌ من الفنون التي ظهرت في الأندلس ؛ ليلبي حاجة اهل الأندلس ، وتطلعات مجتمعهم ، وملائمة بيئتهم ، تميَّز بالخروج عن نظام الشعر العربي الذي يعتمد على نظام البيت الشعري المكون من الصدر والعجز ، والقافية الموحدة ، بينما جاء الموشح على عدة اشكال منها : المشطر والمزدوج والمظفر ...الخ ، كذلك جاءت القافية متنوعة في الموشحة الواحدة ، فالموشح هو ثورةٌ جريئةٌ على نظام الشعر القصيد ، فقد تطور الموشح على مر العصور الى ان وصل عصر بني الأحمر الذي يعد عصر اكتمال صورة الموشح من حيث الشكل والبناء .

تحفَّظَ العلماء والمؤرخون القدماء على ذكر الموشحات في كتبهم ؛ ربما بسبب تعصبهم للشعر العمودي ، ورفضهم أي محاولة للخروج عن هذا النظام الشعري الذي تعودت أذواقهم عليه،ولم تعتد على غيره ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن بسام فهو على الرغم من انّه يذكر انَّ الموشحات اوزان تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب معبراً بذلك عن الحانها ، وما فيها من موسيقى،الا انَّه يعتذر عن ايرادها في كتابه بكون اوزانها خارجة عن غرض الديوان اذ اكثرها على غير أعاريض شعر العرب [1] .

([1]) ينظر : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : ق١ / ١ / ٤٦٩ .

واعتذر المراكيشي (ت ٦٤٧هـ) صاحب كتاب (المعجب) عن عدم ذكرها بقوله " لم تجرِ العادة بإيرادها في الكتب المجلَّدة المخلَّدة "[١]

أما "ابن عبد ربه الَّذي ينسب اليه دور ريادي في فن التوشيح فلم يشر اليها من قريب ولا من بعيد ، وهو المعروف بغلبة طبعه المحافظ "[٢].

ويقول يونس شديقات " يستطيع الدارس للموشحات ان يميز بين موقفين متباينين منها عند أقدم المؤلفين الَّذين عرضو لها : الاول إعجاب بسمعها ، والثاني : رفض لتدوينها"[٣]،ولكنَّ الموشح وبمرور الزمن تطور ودوِّنَ وامتلأت به الكتب والمؤلفات ؛ لأنَّه يعبر عن ثقافة المجتمع الأندلسي آنذاك ، وبدأ المؤلفون يوضحون مفهوم وقواعد واصول هذا الفن ، وقد ابتعدنا عن ذكر مفهوم الموشح عند العلماء ؛ لأنَّه ذُكِر على نحوٍ كبير في الكتب والدراسات التي درسته ، ووقفنا على ابرز الاسباب والظواهر والاصول والبدايات التي على اساسها نشأَ الموشح وتطور .

ولعلَّ ابرز ما يلفت الانتباه أنَّ صياغة الموشح تتلائم مع البيئة الأندلسية من جميع الجوانب، فجمال الطبيعة وشيوع الغناء واللهو والمجون التي تميَّزت بها بيئة الأندلس،يتناسب مع طبيعة الموشح ، فهو منفتح من ناحية الشكل والعروض والوزن والقافية ، فتعددُ الوزن والقافية في الموشحة الواحدة ، وتنوع الأبيات والأسماط والأغصان واختلاف قوافيها وأشكالها يتلائم مع الغناء والموسيقى الذي ساد البيئة الأندلسية آنذاك ، وكأنَّنا نتطلع الى عالم منفتح من الجمال المسموع والمتخيَّل وفق المعاني التي يتناوله الوشاح .

---

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب : ٧٠ – ٧١ .
(٢) الموشحات الاندلسية المصطلح و الوزن و التأثير : ١٨ – ١٩ .
(٣) المرجع نفسه : ١٨ .

المبحث الأول

أصل الموشح ونشأته وتطوره

١- اصل الموشَّح

يقول آنخل جنثالث بالنثيا :" ولم نوفق – الى الان – الى تعرف المصدر الَّذي استوحاه مقدم عندما ابتكر فن التوشيح ، فذهب البعض الى انَّ اصل الموشَّح اندلسي محلي ، ويذهب البعض الاخر الى أنَّه جليقي ، ويذهب ثالث الى أنَّ اصله البعيد روماني"[١].

وانقسم الباحثون حول الاصل الَّذي نشأَ عنه الموشَّح ، واصبح الخلافُ يدور حول الموشَّح هل هو تطوير للشعر العربي المشرقي ؟ او هو متأثر بأنماطٍ من الاشعار الاسبانية الَّتي كانت شائعة بين الاسبان الخاضعين للحكم العربي ؟ ام هو تقليد لأنواع من الاغاني الشَّعبية الاسبانية الَّتي كانت ذائعة بين الاسبان الَّذين كانوا يعايشون العرب الاندلسيين ؟ [٢] .

وسنناقش كل رأي بما ساقه من أدلة وبراهين على صحَّة ادعائه :

الاتجاه الاول :هو " انَّ الموشَّح تطور من الشِّعر المشرقي العربي فيما عرف بالمسمَّطات والمزدوجات "[٣] ، "وذهب اصحاب هذا الاتِّجاه الى ما تقرره الدراسات الادبية في الشّعر العربي المشرقي من وجود محاولات قديمة للخروج على نظام القصيدة ، ونظام القافية الواحدة ، ثم محاولات بعض شعراء القرن الثّاني المشارقة للخروج عن الاوزان العربية المألوفة في الشعرِ"[٤] .

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي : ١٥٤ .
(٢) ينظر : فصول في الادب الاندلسي : ١٢٨ – ١٢٩ .
(٣) الوافي في تاريخ الادب العربي في الاندلس : ٢٩٢ .
(٤) فصول في الأدب الأندلسي : ١٢٩ .

لقد ردَّ احمد هيكل على من قال انَّ الموشَّح هو تطور عن الرُّباعيات والمسمَّطات فقال : ويبدو انَّ هذا الاحتمال بعيد ؛ لأننا لا نعرف للأندلسيين رباعيات ولا مسمَّطات في تلك المدة من تأريخها [١].

ولقد حاول فؤاد رجائي ان يثبت انَّ نقل زرياب لطريقة الغناء المشرقية على اصول النوبة الى الاندلس كان له تأثير كبير في التَّمهيد لاختراع الموشَّحات.... ويرى رجائي انَّ هذه الطريقة دفعت الشّعراء الاندلسيين الى اختراع طريقة جديدة يضمن المقطوعة الشّعرية فيها عدة الوان من البحور والقوافي[٢].

انَّ زرياب وان نقل طريقة الغناء المشرقية للأندلس ، فإنَّ الاختراع والاصل يعود للأندلسيين ، ومنهم برز هذا الفن ، وليس من المشارقة .

الاتجاه الثاني : " وهو الفريق الَّذي يرى انَّ الموشَّحات اسبانية الاصل يتزعَّمه المستشرق الاسباني خوليا ربيرا ، ومن بعده المستشرق الاسباني جارسيا جومز ووافقهما مجموعة من الزملاء الَّذين درسوا في اسبانيا ومجموعة اخرى من الدّارسين الاجانب"[٣]،وذكر حكمة علي الاوسي أنَّ " هناك طائفة كبيرة من الباحثين العرب ذهبت هذا المذهب منهم عبد العزيز الاهواني في كتابه (الزجل في الاندلس) ، ومصطفى عوض الكريم في كتابه (فن التوشيح)، وبطرس البستاني في كتابه (ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث)"[٤].

---

(١) ينظر : الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٨ .
(٢) ينظر : فصول في الأدب الأندلسي : ١٣٢ – ١٣٣ .
(٣) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه : ٣٨٤ .
(٤) فصول في الأدب الأندلسي : ١٣٣ .

وكذلك " من الحجج الَّتي تبناها هؤلاء أنَّ الموشَّحاتِ تقليد لشعر قيل باللغة الرومانسية،وكان الاسبان يتغنّون به ، ومنطقهم في ذلك هو هذا العدد الكبير من الخرجات الاعجمية الَّتي اعتبروها نصوصاً لأغانٍ اسبانية اقتبسها العرب ، وضمنوها تواشيحهم مقلِّدين بذلك فنّاً سابقاً أنشئ وغُنِّيَ "[١] ، أي انَّ العرب اقتبسوا نصوصاً من الشعر الاسباني الذي قيل باللغة الرومانسية ، وضمنوه في توشيحاتهم ، ودليلهم في ذلك وجود الخرجات الأعجمية في هذه الموشحات ، " او انَّ الموشَّح يختلف عن فنون الشِّعر العربي المشرقية؛لأنَّه انَّما صنع من اجل الغناء، وشيوع الاوزان الَّتي لا تجري على العروض العربي، كذلك ابتكار الموشَّح في الاندلس "[٢] .

ويرى اصحاب هذا الاتجاه انَّ الموشَّحَ ثمرةٌ من ثمار الاندلس اليانعة ، والَّذين نحو هذا المنحى عدد من مستشرقي الاسبان وعدد كبير من الباحثين العرب ومنهم :

١- ريبيرا : وجد ريبيرا انَّ الموشحات فيها اثرمن اثار الاغاني الجليقية ، وهي خلاصة الاغاني الرومانثية الاسبانية ، فالنساء الجليقيات اللاتي انتشرن في البيوت كُنَّ يستخدمن تلك الاغاني في الحفلات ، وفي ساعات الفراغ ، وليس بين ايدينا ما يمكن أن نتأكد به من صحة هذه الفرضية [٣] .

٢- بطرس البستاني : الَّذي يقول انَّ هناك صلة بين الموشَّحات والشعر الفرنسي الاسباني،وانَّها تدل على تأثر العرب بهذين الادبين وقد ذهب عدد من الدّارسين الى اثبات عكسها والادعاء بتأثر شعر التروبادور بالموشَّحات [٤].

---

(١) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه : ٣٨٤ .
(٢) فصول في الأدب الأندلسي : ١٣٤ .
(٣) ينظر : الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة : ٢٥٤ .
(٤) ادباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث : ١٧١ -١٧٢ .

٣- المستشرق الاسباني (ملياس فيليكروسا) : المختص بالدراسات العبرية الّذي رأى في الموشَّحات اثراً من آثار الاغاني والاناشيد الدينية مثل (البزمون) وكانت يرددها اليهود المعايشون للمسلمين [١].

ويستبعد احمد هيكل جميع الحجج هذه ويردها [٢] ، ولكنَّه يطمئن الى رأي تبنّاه ، وهو انَّ الموشّحات قد بنيت على اغنيات اندلسية محلية ، واستوحت بعض اغاني الاندلسيين الشَّعبية ، الَّتي لم يسجلها المؤرخون ... ، فالمعقول ان تكون هذه الاغاني متنوِّعة القافية،وقد نظمت باللغة العامية الاندلسية الَّتي تمتزج فيها العربية بالرومانثي ، والمعقول انَّ مخترع الموشَّحات انَّما افاد من هذه الاغنيات الشعبية[٣].

وقد نقل محمد رضوان الداية عن عبد العزيز الاهواني الَّذي قدم نظرية اطمأن اليها محمد رضوان الداية وقدم عليها الادلة والبراهين من اخبار الموشَّحات والازجال ، ومن معالجة خرجات عدد كبير من الموشَّحات والازجال ، وهذا الرأي يقول : انَّ الموشح نشأَ في الاندلس استجابة لدواعٍ موسيقية غنائية ، وبالاحتكاك مع الاغاني الشعبية الاندلسية ،ونظرية الاهواني تجمع بين الموشح والزجل في صعيد واحد .[٤] ، فقد قال " انَّه يميل الى القول بوجود اصلٍ مشترك ظهر في البيئة الاندلسية منذ عهودها القديمة كان له فضلٌ في ظهور الموشَّح وكان له اثر في استقلال الزَّجل وتطوره..... فالوشّاح ثم الزَّجال استفاد من هذا الغناء الشعبي، واستغله ليخرج فناً جديداً يغزوا البيئات المثقفة ، ويوفق بين ما الّفته هذه

(١) ينظر : الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٩ .
(٢) ينظر : الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٨ – ١٤٩ .
(٣) ينظر : المرجع نفسه: ١٤٩ .
(٤) ينظر : في الأدب الأندلسي ، محمد رضوان الداية : ١٨١ – ١٨٢ .

البيئات من شعر عربي قديم ، ومن تقاليد ادبية ، وبين ما عرفته البيئة الشّعبية من فنٍ كان له سلطان في الحياة الخاصة لهؤلاء المثقفين "[١].

ويميل الباحث الى الرأي الذي ذكره محمد رضوان الداية لعبدالعزيز الاهواني انَّ هناك وجود لأصل مشترك ، وهو استفادة الوشاح من الغناء الشّعبي الَّذي كان سائداً في المشرقِ،وبين الفن الجديد الّذي عرفته البيئة الاندلسية ، فالوشاحون هم عرب وفصحاء دخلوا الاندلس ، وتأثّروا بالبيئة الاندلسية ، وبالتطور الذي جاء مع دخول العرب ، وانتشار الموسيقى ، واختلاط العرب بالإسبان ؛ ونتج عن هذا الاختلاط امتزاج لغوي فصيحٌ وعامي من كلا اللُّغتين ، فبدأً يؤلف ما بين الشعرِ العربي الموروث وما بين البيئة الجديدة للمجتمع الاندلسي ، وهو ما ذهبنا اليه من أنَّ الموشح هو بمثابة ثورة شعرية ، وكسر للنمط المألوف آنذاك .

٢- مخترع الموشَّح

اختلفت الروايات في تحديد من هو اول من كتب في الموشَّحات ، فقد ذهب صاحب كتاب الذّخيرة في محاسنِ اهل الجزيرة – ابن بسّام – (ت ٥٤٢هـ) الى انَّ " اول مَن وضعَ اوزان هذه الموشَّحات بأفقنا واخترع طريقها فيما بلغني محمد بن محمود القبري الضَّرير "[٢].

وذكر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته مخترعاً آخر ، إذ يقول :" وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني واخذ ذلك عنه ابو عبدالله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد"[٣].

(١) الزجل في الاندلس : ٣ ، نقلاً عن في الأدب الأندلسي ، محمد رضوان الداية : ١٨٢ .
(٢) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : ق١ / ١ \ ٤٦٩ .
(٣) المقدَّمة : ٣ \ ١١٩٠ .

وجاء في فن التوشيح لمصطفى عوض الكريم " ينقل السَّيوطي عن المغرب لابن سعيد قوله انَّ اول من وضع الموشَّحات الاندلسية ابو عمر احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد"[١].

انَّ هذا الاختلاف في مخترع الموشَّح قد شغل الباحثون قديماً وحديثاً ، وبدأَ البحثُ والتنقيب عن هذا المخترع الى ان جاءت دراسة عبد العزيز الاهواني الَّتي ازاحت النقاب عن هذه القضية في مقالٍ نشره في مجلة الاندلس الاسبانية . انَّ كلا الشَّاعرين الاندلسيين المنسوبين الى قرية قبرة معروفان ولهما تراجم مدونة ، وانَّ محمد بن محمود القبري غير مقدم بن معافى القبري ، فقد اوضح أنَّ محمد بن محمود كان ضريراً امّا مقدم بن معافى فلم يكن كذلك ، ويرى الاهواني أنَّ ليس من داع لأن نفترض انَّ احد الاسمين تحريف عن الثّاني، ويتعجَّب جودت الركابي مع المستشرق غارسيا غومس من ان يكون مخترعُ الموشَّح شاعرين اندلسيين كلاهما من قرية واحدة هي قبرة ، ومن عصرٍ واحد هو عصر الامير عبدالله بن محمد المرواني ، وعلى الرَّغم من تعجُّب الركابي لكنَّه يرجع ، ويقر ان لا بُدَّ من وجودِ مخترعٍ واحد لفنٍ متعدد المنابع كالموشَّح ، فالأهوني لم يذكر من هو مخترع الموشح،فدراسته تفرق بين محمد بن محمود الضرير ومقدم بن معافى بعدما حصل لبسٌ في انَّهما رجل واحد ، وانَّ محمد بن محمود القبري هو مخترع هذا الفن وانَّ مقدم بن معافى هو تحريف لذلك الاسم [٢].

وامَّا احمد هيكل فيرى " انَّ مخترع هذا النَّوع الشِّعري هو مقدم بن معافى"[٣]،وعلى ذلك اكثر الباحثين [٤].

---

(١) فن التوشيح : ٩٨ .
(٢) ينظر : في الأدب الأندلسي ، جودت الركابي : ٢٨٨ – ٢٨٩ .
(٣) الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٤ – ١٤٥ .
(٤) ينظر : المقدمة : ٣ \ ١١٩٠ .

ويذكر احمد هيكل انَّ بعض الباحثين قد فهم انَّ مخترع الموشَّحات هو الشاعر العباسي عبدالله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) ؛ والسبب في الفهم انَّ موشحة قد وردت في الديوان المطبوع لهذا الشَّاعر العباسي ، وقد كان ابن المعتز معاصراً لمقدم بن معافى،وقد ارجعت مصادر الادب الاندلسي هذه الموشَّحة لابن زهر الحفيد ونفت عودتها لابن المعتز[١]،والجدير بالذكر انَّه قد يكون ابن المعتز معجب بهذه الموشحة،فجعلها في مقدمة ديوانه ، ويؤكد ذلك بطرس البستاني ويرد على من زعم بأنَّ موشّحة (أيُّها السّاقي ...) هي لابن المعتز ، ويقول :"انَّ ديوان ابن المعتز لا يحتوي غير هذه الموشّحة فلو عرف صاحبه فن التَّوشيح لأكثر منه ؛ لأنَّه يلائم أغراضه الَّتي اختصَّ بها مثل وصف الطَّبيعة ومجالس اللّهوِ والشَّراب ، ومنها انَّه لم تروَ موشَّحة لشاعر مشرقي غير ابن المعتز في العصر العباسي الثّاني ، ولا رويت موشَّحة لشاعر في العصر الثَّالث ، ومنها أنَّ المؤرخين اتَّفقوا على نسبة الموشَّحات الى أهل الاندلس؛لأنَّها من مستنبطاتهم ، ولم يذكروا مشرقياً في الوشَّاحين قبل ابن سناء المُلك المصري، من شعراء العصر العباسي الرّابع، فهذه الاسباب تعزز شكَّنا في موشَّحة ابن المعتز ، وتعزز اعتقادنا أنَّ الشرق لم يعرف هذا الفن إلا في أواخر الأَعصر العباسية، بعد ان شاع وازدهر في الاندلس"[٢]،وربما عرفه قبل هذا التاريخ بقليل .

وبعد هذه الآراء للمؤرخين والدّارسين للموشَّحات يتضح لنا انَّ الَّذي اخترع الموشَّح هو مقدم بن معافى ، ويميل الباحث الى هذا الرأي بناءً على آراء من درس وأرخ للموشَّحات .

(١) ينظر : الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٥.
(٢) ادباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث : ١٦٥ -١٦٦ .

٣ – نشأة الموشَّحات بين المشرقِ و المغرب

اختلف الدارسون والباحثون بشأن نشأة الموشَّح ، فرده بعضهم الى اصولٍ عربية مشرقية،والاخر الى تأثيرات اجنبية اسبانية ، والاختلاف دار هل انَّ الموشَّح ظهر في الاندلس اولاً أم في المشرق .

الرأي الاول : وهو انَّ الموشَّح مشرقي الاصل والنشأة ؛ بسبب الغناء ، ودُعم هذا الرأي بالموشَّحة الَّتي زعموا انَّها لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، ومن بينهم كامل الكيلاني،وهي معروفة لابن زهر ومطلعها :

ايُّها السّاقي اليك المشتكى قد دعوتك وان لم تسمع

ونديم همت في غــربته

وبشرب الراح من راحته

كلّما استيقظ من سكرته

جذب الزقَّ اليه ، واتّكا وسقاني أربعاً في اربع [١] .

وابن المعتز شاعر عبّاسي مشرقي ، لا علاقة له بالأندلس لا من قريب ولا من بعيد ، وهذا يدل – ان صحَّت نسبته لابن المعتز – انَّ الموشَّح مشرقي النشأة ، بينما يُنسَبُ في العديد من المصادر للوشَّاح الاندلسي ابي بكر بن زهر المعروف بالحفيد (ت ٥٩٥ هـ) ، وكما أنَّه لا وجود للموشح في أشعار ابن المعتز حسب اطلاعنا على ديوانه ، مما يعزز رأينا أنَّه مجرد اعجاب، وتأثر بالموشح ، فوضع هذه الموشحة في مقدمة ديوانه .

(١) عقود اللآل في الموشحات والازجال : ٣٢ . وينظر: نظرات في تاريخ الادب الاندلسي : ٢٧٢ – ٢٧٤ .

ويرد محمد زكريا عناني في كتابه (الموشحات الاندلسية) على كامل الكيلاني،فيقول " والحقيقة الَّتي لم ينتبه لها كامل الكيلاني ومن تابعه في رأيه هذا انَّ كل الاعتبارات تقود الى رفض نسبة هذه الموشحة لابن المعتز ، والى القول بأنَّها اندلسية التأليف،على النحو الَّذي تؤكِّده مصادر عديدة مثل: دار الطراز ، المُغرب في حلى المغرب ، ومعجم الادباء والوافي بالوفيات ، وعقود اللال في الموشحات والازجال،واهم من هذا كله المطرب من اشعار اهل المغرب لابن دحية تلميذ ابن الازهر "[١] .

الرأي الثاني : وهو انَّ الموشحات فن اندلسي المنشأ وممّن تبنّى هذا الرأي : ابن خلدون الَّذي يقول في مقدمته " وامّا اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذَّبت مناحيه وفنونه وبلغ التَّنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنّاً منه سمَّوه الموشح"[٢].

وذكر ابن بسّام (ت ٥٤٢هـ) في حديثه عن صنعة التَّوشيح " انَّ اهل الاندلس هم الّذين نهجوا طريقتها ووضعوا حقيقتها "[٣].

ويقول ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ) أنَّها – الموشَّحات – " مما ترك الاول للآخر ،وسبق بها المتأخر المتقدم واجلب بها اهل المغرب على اهل المشرق ..... وصار المغرب بها مشرقاً لشروقها بأُفقه "[٤].

(١) الموشحات الأندلسية ، محمد زكريا عناني : ١٥ .
(٢) المقدمة : ٣ \ ١١٨٩ .
(٣) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : ق١ / ١ / ٤٦٩ .
(٤) دار الطراز في عمل الموشحات : ٢٣ .

وقد أكَّد ذلك ابن دحية (ت ٦٣٣هـ) بقوله :"الموشَّحات ، هي زبدة الشّعر وخلاصة جوهره وصفوته ، وهي من الفنون الَّتي أغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق ، وظهروا فيها كالشَّمسِ الطّالعة والضِّياء المشرق "[١].

وقال الصَّفدي (ت٧٦٤هـ) انَّ " الموشَّح فن تفرَّد به اهل المغرب ، وامتازوا به على اهل المشرق،وتوّسّعوا في فنونه وأكثروا من انواعه "[٢] .

وقد اورد الصفدي نصاً مهماً نقلاً عن أبي الحسن علي بن سعد الخير الذي يقول : ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الدَّيلمي ، وابي محمد القاسم الحريري ، وغيرهما ؛ قد استنبطوا من تلك الاعاريض أقساماً مؤلّفة على فقرٍ مختلفة وقوافٍ مؤتلفة ، قلت (أي الصفدي) : يعني بذلك اشعار العرب في ابحر العروض، قال (أي ابي سعد الخير): وسموها ملاعب (وهي قصيدة قائمة على قوافٍ رباعية أو غير رباعية) ، واستنبطَ منها ايضاً اهلُ الاندلس ضرباً قسَّموه على أوزان مؤتلفة ، وألحان مختلفة سمَّوه موشَّحاً ، وجعلوا ترصيع الكلام ، وتنميق الاقسام توشِّحاً [٣] .

ويقول مصطفى عوض الكريم :" اجمع مؤرخو الادب الاندلسيون على أنَّ الموشَّحات من مخترعات بلادهم ، وانَّ المشارقة أخذوها عنهم وتتلمذوا فيها عليهم ،ولم يعدوا ان يكونوا تلاميذ صغاراً يقع لهم بين الحين والحين ما هو عارٍ عن التَّكلفِ،واعترف لهم المشارقة بالفضل ولم ينازعوهم في الفَّخر "[٤] .

---

(١) المطرب من اشعار اهل المغرب : ٢٥٢ .
(٢) توشيع التوشيح : ٢٠ .
(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ -٢١ . وينظر : الموشحات الاندلسية ، محمد زكريا عناني :١٩.
(٤) فن التوشيح : ٩٣ .

ويرى محمد الدّيب انَّ " لا اختلاف في أنَّ الموشّح فنٌ اندلسي ... وانَّ الموشّحة عربية الاصل ، وإنَّما جاءت تطويراً لأوزان الشِّعر العربي ثم استفادت وتأثَّرت بأنماطٍ من الادب الاسباني او الفرنسي "[١].

ويقول مصطفى الشَّكعة " أنَّ الموشَّحة ... أُنشِّئت أصلاً لكي تكون في خدمة الغناء في الاندلس وأمّا المشرق فلم يكن المستمع في حاجةٍ الى الشِّعر السَّهل والقافية المنوَّعة ؛ لأنَّه يستمع الى الشِّعرِ النّابع من بيئته المتمشِّي مع حضارته "[٢].

ويذكر عمر الدَّقاق :" أنَّ التوشَّيح نمط من أنماط الكلام المنظوم انبثق في الاندلس في أواخر القرن الثَّالث الهجري ... أنَّ الموشَّح فنٌ اندلسي أصيل ابتدعه العرب في ظل ظروف اجتماعية خاصّة وعوامل بيئية معيّنة ، ولم يعد هناك ما يدعو الى الشَّك في هذه المقولة بين الباحثين على الرَّغم من شذور الآراء الَّتي ترى نسبة هذا الفن الى المشارقة بل انَّ واقع الامر أنَّ اهل المشرق كانوا بمثابة تلامذة للأندلسيين في هذا الشَّأن ، إذ انبهروا بطرافته وعملوا على تقليده والنَّسج على منواله "[٣].

ويتضح لنا من خلال الآراء السابقة أنَّ الموشَّح ظهر في الاندلس ، وانتقل الى المشرق،ولم نجد أي كتاب او مؤلف يحمل اسم موشَّحات المشرق بل أنَّ جميع المؤلَّفات والكتب والمصادر تحمل اسم الموشَّحات الاندلسية ، وهذا دليل آخر على أندلسية الموشَّحات في المنشأ والظُّهور ، حتى من ادعى انَّ الموشَّحات مشرقية لم يؤلِّف احَّداً منهم كتاباً يحمل اسم موشَّحات مشرقية ، غير أنّه ظهر فيما بعد وشاحون مشرقيون ؛ جراء تأثرهم بهذا الفن الغنائي وجماله .

---

(١) دراسات في الادب الأندلسي ، محمد الديب : ١٣٤ .
(٢) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ٣٧٢ .
(٣) ملامح الشعر الأندلسي : ٣٢٧ -٣٢٨ .

٤- اسباب نشأة الموشَّحات في الاندلس

بعد ان ثبت انَّ الموشحات ظهرت في الأندلس ، ثم انتقلت الى المشرق ، فلا بد من اسباب ادت الى ظهورها في الاندلس من دون غيرها .

ويقول احمد هيكل "فكانت نشأة الموشَّحات استجابة لحاجة فنية اولاً ، ونتيجة لظاهرة اجتماعية ثانياً"[١].

ونلاحظ انَّ احمد هيكل أرجع نشأة الموشَّحات الى ما يأتي :

١- العوامل الفنية :" ثمرة التطور الّذي حصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالتوجه الى الحياة الفنية وتشجيع الغناء والمغنين واغداق الاموال عليهم ، ومن عوامله دخول زرياب المغني الى الاندلس وتعليمهم اصول آداب المجالسة والمحادثة وانواع الاطعمة والغناء حتى لقبوه (معلم النّاس المروءة) كما علمهم اللطف والرقص وارهاف الذَّوق ، فضلاً عن جهوده في مجال الغناء والموسيقى ، فأصبحت هناك الحاجة الى لون جديد من الشعر يواكب الغناء ، فأصبحت الموشَّحات تلبي هذا الغرض من حيث تنوع الوزن والقافية وثنائية اللغة "[٢].

٢- العوامل الاجتماعية : " فبيانه انَّ العرب امتزجوا بالإسبان ، والّفوا شعباً جديداً فيه عروبة وفيه اسبانية ، وكان من مظاهر هذا الامتزاج ، ان عرف الشّعب الاندلسي العامية اللاتينية كما عرف العامية العربية ، أي انّه كان هناك ازدواج لغوي نتيجة للازدواج العنصري ، وكان لا بد ان ينشأ ادب يمثل تلك الثنائية اللّغوية فكانت الموشّحات "[٣].

---

(١) الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٣ .
(٢) الوافي في تاريخ الادب العربي في الأندلس : ٢٩٤ .
(٣) الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٤ .

كما انَّ " العوامل الاجتماعية تتمثل فيما طرأ على المجتمع الاندلسي من تطور في الحياة الاقتصادية والثقافية ، وما بلغته الاندلس من الرفاه والتّرف وسعة العيش مما أتاح لهم الاقبال على اللّهو والتفنن في اساليبه وطرقه "[١].

ويضيف عمر ابراهيم توفيق سبباً آخر هو :

٣) " تأثير الغناء والفلكلور الاسباني : فالموشَّحات ثمرة اندلسية ، تأثرت من حيث بناء القصيدة واوزانها بالمحاولات الشّرقية القديمة الَّتي خرجت على الاوزان المألوفة ، مع تأثرها بالآثار الاسبانية والفرنسية من الغناء والشعر "[٢].

ويقول احمد هيكل " فكأن الموشَّحات إذن لها جانبان : جانب موسيقي يتمثَّل في تنويع الوزن والقافية وهذا قد جاء استجابة لحاجة الاندلس الفنية حين شاعت الموسيقى والغناء . وجانب لغوي يتمثَّل في ان تكون الموشَّحة فصيحة في فقراتها عامية في خرجتها ، وهذا الجانب قد جاء نتيجة للثنائية اللُّغوية المسببة عن الثنائية العنصرية "[٣].

وانَّ جميع هذه الاسباب والعوامل وبمقارنتها مع طبيعة الموشَّح الَّذي ظهر لتلبية حاجة فنية واجتماعية وُجدت وظهرت في الأندلس يدل ويضيف تأكيداً آخر على اندلسية الموشَّح طالما جاء على نمط حياتهم وبيئتهم وثقافتهم .

كذلك التجديد الّذي ادخله زرياب المغني في الموسيقى في الالحان في الاندلس ، فهو زاد في اوتار العود وتراً خامساً ، وكذلك جعل الغناء منازل ، وهذا التطور جعل كل مغنٍ يستقل في المجلس الغنائي الواحد بواحد من هذه الالحان ، فواحد يفتتح بالنشيد ، وثان او

(١) الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة : ٢٥٥.
(٢) الوافي في تاريخ الادب العربي في الأندلس : ٢٩٤ .
(٣) الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة : ١٤٤ .

جوق،يأخذ في البسيط ، وثالث بالهزج ، وهذا التنوع يقتضي عدة قصائد غنائية مختلفة الاوزان ، او يقتضي تنويعاً في النغمات الَّتي تقوم عليها القصيدة الواحدة ، والموشح أو شكل ما يشبهه قد تكفَّل مثل هذا التنويع .[1]

فالتجديد في الموسيقى كان يتطلّب فنّاً متعدد الاوزان يلبي الحاجة الموسيقية ، وهذا يتوافق مع بنية الموشَّح.

٧ – تطور الموشَّحات

على الرَّغم مما أُثير بشأن مخترع الموشَّح من اختلاف في تحديد من هو مخترع الموشّحات ، وكذلك رفض تدوينها من جهة ، وقبولها والاعجاب بها من جهة أخرى،فانَّ الموشح وصل الينا وازدهر وتطور على نحوٍ كبير .

وظهر الاختلاف على من برع في هذا الفن بعد المخترع الاصلي له ، فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أنَّ " اول من برع في هذا الشَّأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وقد ذكر الاعلم البطليوسي أنَّه سمع ابا بكر بن زهر يقول : كل الوشاحين عيال عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

بدرتم شمس ضحا غصن نقا مسك شم

ما أتم ما أوضحا ما أورقا ما انـــــم

لا جرم من لمحـــا قد عشقا قد حـــرم [2].

(1) ينظر : تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ١٧٩ .
(2) المقدمة : ٣ /١١٩٠ .